

ترجمة المصطلح اللغوي عند فردينان دوسوسير
من خلال كتابه "دروس في اللغويات العامة"
"La langue, le langage" أنموذجا

عرض ومراجعة



*Translating the linguistic term of Ferdinand De Saussure
through his book "course in general Linguistics "*

"La langue, le langage " as a case study

View and review



ميلود حميدة.

جامعة زيان عاشور؛ الجلفة (الجزائر).

البريد الإلكتروني: m.hamida@univ-djelfa.dz

تاريخ الإرسال: 2022/12/16؛ تاريخ القبول: 2022/11/19؛ تاريخ النشر: 2022/12/15.

الملخص:

لطالما اهتم البحث النقدي العربي بترجمة وشرح المصطلحات التي صاغها العالم اللغوي السويسري فردينان دوسوسير في كتابه "دروس في اللغويات العامة"، حيث ظهرت هذه المصطلحات في مقالات ومؤلفات النقد العربي إما مترجمة أو معرّبة، لذا فإن المصطلحات المترجمة -محل الدراسة- طرحت إشكالات داخل اللغة الهدف، ومن بين هذه الإشكالات عدم فهم هذه المصطلحات في فضاء مدلولها المقصود.

لذا، في دراستنا هذه سنتناول هذه المصطلحات التي تعتبر نقطة انطلاق أساسية للنظرية اللغوية عند دوسوسير، وسنحاول أن نقدم حلولاً تجمع شتات النقد الأدبي العربي في هذا المجال على الأقل، ومن أهم نتائج هذه الدراسة العمل على توطين الدراسات النقدية المعاصرة بالمصطلحات المقترحة من أجل مفهوم فاعل في مجال النسق النقدي للمدلول المفتاحي للنظرية اللغوية عند فردينان دوسوسير.

الكلمات المفتاحية: البنية اللغوية؛ الترجمة؛ اللغة؛ المصطلح؛ فردينان

دوسوسير.

Abstract:

Arabic critical research has long been interested in translating and explaining the terms coined by the Swiss linguist Ferdinand De Saussure in his book (general linguistics course); moreover, these terms have appeared in articles and works of Arab criticism; that are either translated or borrowed from the French language, so the translation of terms present a problems in the target language; among these problems are the lack of understanding of these terms in their initial use.

So, in our work we will approach these terms which are a fundamental starting point for linguistic theory, and will try to present solutions that bring together the diaspora of Arab criticism in this area at least. One of the most important results the localization of the proposed contemporary critical studies to correct the critical system of the field of linguistic theory by Ferdinand De Saussure.

Key words: linguistic structure; translation; language; term; Ferdinand De Saussure.

مقدمة:

لقد عرفت البنيوية شكلها الأكثر نضوجا في الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي عمل عليها كلود ليفي ستروس *Claude Lévi-Strauss* (1908-2009)، حيث اهتم كثيرا بنسق "القراءة" ونظامها الذي-حسبه- يعتبر بنية خاصة، أما في مجال اللغويات فتعتبر البنيوية المنهج النظري الذي يكمن في النظر للغة كبنية، أي مجموعة من العناصر التي تحافظ على العلاقات الشكلية النسقية العميقة والسطحية، وقد كان للمفكر والعالم اللغوي السويسري فردينان دوسوسير (1857-1913) أثر مهم في بناء المنهج البنيوي من خلال محاضراته التي جمعها شارل بالي *Charles Bally* وألبير سيشهاي *Albert Sechehay*، حيث نشرت سنة 1916، وشكلت بذلك ثورة في الدراسات اللغوية.

وعليه فقد ارتأينا في هذه الورقة البحثية أن نعالج مصطلحين مهمين مفتاحيين بالنسبة لدراسة ما قدمه العالم اللغوي السويسري فردينان دوسوسير، وهما (*la langue, le langage*) ونستطلع فضاءاتهما داخل الأعمال التي قدمت ترجمة كتابه (دروس في اللغويات العامة)، هذه الدروس التي لم يشرف على طبعتها في كتاب، وإنما أشرف على حياة علاماتها بين طلبته في ذلك الوقت، ولذلك كان لا بد من الاقتراب أكثر فأكثر من الحدود المتاخمة لهذا الفضاء اللغوي الرحب، ونتكشف مداخله من خلال الإجابة على الإشكالية التالية:

هل حققت هذه الترجمات المدلول العلمي الصحيح والفاعل في فضاء المعنى لدى دوسوسير؟ أم أنها ابتعدت عن مدلولاته اللغوية ومارست سلطة الخروج عن المضامين المستهدفة ولم تحفر طريقا لاستقراء أبعاد هذه المصطلحات؟

ومن هنا فقد كانت أهداف المقال تتجه إلى:

- قراءة نظرية لمفهوم البنية وعناصرها الأساسية.
- تقديم نموذجين واضحين لترجمة مصطلحي دوسوسير محل الدراسة.
- تحليل وشرح مفصل لدلالات الترجمة على مستوى المصطلحين محل الدراسة من خلال النموذجين المقدمين.
- قراءة في بنية اللغة عند دوسوسير ودلالات المصطلحات اللغوية ومدى ضبطه للمفاهيم.
- نظرة حول المصطلح محل الدراسة في النقد الجزائري المعاصر والنقد العربي من خلال نموذجين واضحين.
- اقتراح ترجمة جديدة للمصطلح تعيد له مدلوله داخل نسق النظرية وفي سياقها العام.
- المساهمة بتصور علمي موجز حول ما قدمه دوسوسير خاصة فيما يخص المصطلحات المفتاحية.

أما منهجية البحث فقد اعتمدت الدراسة على بعدٍ نظري لمفهوم البنية لما لها من أهمية في بناء نظرتنا العلمية ومقترحنا الدال، ومن ثم قراءة المصطلحات من خلال ترجمتين مختارتين وفق "دلالة الاختلاف" بحيث تكونان متباعدتان في المعالجة لمختلف المصطلحات اللغوية عند دوسوسير، ومنه نتطرق إلى الترجمة المقترحة وأدلتها العلمية.

1. البنية Structure:

ارتكزت البنيوية في مفهومها العميق على أبعاد وعناصر البنية، لذلك فقد تشكلت البنية من ثلاثة مكونات: «الكليّة *La totalité*، والتحوّلات *Les transformations*، والضبط الذاتي *Autoréglage*» (Jean Piaget, 1972: 07) ومعنى الكليّة قد تابعه البنيويون بالدراسة

والفحص والتدقيق، ولكن ما يهمنا هو أن البنية «تشكل بالتأكيد من عناصر، ولكن هذه العناصر تخضع للقوانين التي تميز النسق على هذا النحو» (Jean Piaget, 1972:08)، أي أن الكلية هي التي لا تجعل البنية منفردة في مجال معين محدود بل تتعدد وتتسع مع النسق من حيث هو نسق، فإذا استقرنا البنية الدينية مثلاً، فإن كليتها تكمن في نظام الفكرة الدينية التي تقف على أبعاد الميتافيزيقا لدى كل حضارة، ومع كل مفرداته التي تتفق من حيث العموم وتختلف من حيث الطقوس، أما التحوّلات *Les transformations* فتعني أنه «لا يمكن لنشاط بنيوي أن يقوم إلا على نسق من التحوّلات» (Jean Piaget, 1972:11)، أي أن ميزة الكليات البنيوية تستند على جملة من التغيرات الداخلية التي تحدث داخل النسق، وهذا ما يجعل من هذا المكوّن تعبيراً لحركة البنية في إطار التغيرات التي تطرأ عليها في ذاتها ولذاتها، داخل نسقها البنيوي، أما الضبط الذاتي *Autoréglage* فهو أن في إمكان «البنية أن تضبط نفسها بنفسها، هذا الضبط الذاتي يؤدي إلى الحفاظ عليها وإلى نوع من الانغلاق» (Jean Piaget, 1972:12)، ومن ثم يمكن لها المحافظة على استمرارها، لذلك فالبنية تسير في مسار متوازن من الصعب بعثرة حقله وتشيت معالمة، وهنا يسهل علينا معرفة المنطلق الدلالي للبنيوية كطريقة منهجية تستند على فضاء البنية وعلى كليتها وتحوّلاتها وتماسكها.

وإذا كان المصطلح اللغوي هو في حد ذاته يواجه جملة من الإشكالات التي يطرحها النقد العربي، هذه الإشكالات التي ينبغي فهم حقولها جيداً، وإذا كان دوسوسير نفسه انشغل بموضوع "اللغة العام" واهتم بشكل كبير بهذه الإشكالات، ودعا إلى «الحاجة إلى

إصلاح المصطلحات، وإظهار أي نوع من الأشياء هي اللغة بشكل عام» (95: 1964, Henri Frei et autres)، فإن هذا الدخول إلى عالم البنية اللغوية شكّل تحوّلًا مهمًا في سياق الدراسة النقدية الأدبية الحديثة، هذا التحوّل الذي يشرحه "جوناثان كولر" Jonathan Culler في البعد الذي يجعل الاستفادة من اللغويات داخل حقول الظواهر الثقافية يعتمد على «اعتقادين أساسيين، الأول: أن الظواهر الاجتماعية والثقافية ليست مجرد موضوعات أو أحداث مادية، بل هي موضوعات أو أحداث ذات معنى، وبالتالي فهي إشارات. والثاني: أن هذه الظواهر ليست جواهر أو ماهيات قائمة في ذاتها، بل إنها محددة بشبكة من العلائق، الداخلية والخارجية» (عبد الله إبراهيم، الغانمي سعيد، عواد علي 1996: 41)، ولذلك أضحى هذا المنهج نموذجًا هامًا للتحوّل الذي طرأ على الدراسة النقدية التي لم تعد تستند على ظروف تاريخية أو قدرة جمالية عند الكاتب، وبالتالي «انعكست مفاهيم البنيوية على كثير مما ساد قبلها وأثرت فيه تأثيرًا كبيرًا، فالأدب لم يعد إبداعًا عبقرياً يعتمد على قدرة المؤلف الخارقة، بل أصبح صيغة كتابية مؤسسية تحكمها قوانين وشيفرات تميط اللثام عن هذا "الغز" القار من أفلاطون إلى عصرنا هذا» (الرويلي ميجان، والباغني سعد، 2002: 74)، لذلك فإن تلقي هذا الفضاء اللغوي الهام عند دوسوسير قد استند على المساهمات المعتبرة للمترجمين العرب، بل واعتمد النقد الأدبي اللغوي على تعدد هذه الترجمات التي حاولت تقديم دروس دوسوسير في ثياب اللغة العربية، وانطلقت هذه الترجمات من اجتهادات فردية أحيانًا أو جماعية أحيانًا أخرى، لكننا هنا سنقدم ترجمتين مهمتين اعتمد عليهما النقد في قراءة المستويات اللغوية للمصطلح عند دوسوسير.

2. ترجمة يوثيل يوسف عزيز "علم اللغة العام" (1985):

تعد ترجمة يوثيل يوسف عزيز "علم اللغة العام"، ومراجعة مالك يوسف المطليبي، من بين الترجمات التي قدمت عملاً معتبراً في مجال نقل المصطلح لكنه من عتبة الدخول إلى مساحات البحث اللغوي ندرك أن يوثيل يوسف عزيز استبعد تماماً لفظ "دروس"، باعتبار أن الكتاب المراد ترجمته هو «*Cours de linguistique générale*»، ونحن نعلم أن ترجمة الدلالة لا تعني استبعاد أهداف خاصة قصدها الجامعين والمؤلفين لأعمال دوسوسير، لأن الكتاب في مجمله هو مجموعة من الدروس التي ألقاها دوسوسير على تلامذته في ذلك الوقت، ولم ينشره بإرادته المطلقة، لذلك فهو على وجه التحديد "دروس" وليس اطلاقاً مباشراً لفضاء علمي رحب هو "علم اللغة العام"، ومنه ندرك أنه من الضروري ألا نستغني في الترجمة عن هذه الدلالة، لأن الدقة البحثية والأمانة العلمية تحتم احترام مجمل المفردات المتوفرة والمقصودة خاصة في مجال المباحث المصطلحية العلمية، ومنه فإننا نستغل الملاحظة التي تدل على أن هذه الدروس لم تكن مدققة في شكلها النهائي من طرف دوسوسير، بل ما تلقاه تلامذته من فهم لهذه الحقول، وما عمل عليه الباحثان في التقيب عن مقالاته ومخطوطاته لكي يعيدا خلق أفكاره وهما حريصان على جمع كل الأجزاء دون حذف.

ومع ذلك يمكن القول إن يوثيل يوسف عزيز قد وفق في ترجمته العربية إلى حد ما في اختياره لعبارة "علم اللغة العام" بدل "اللسانيات" أو "علم اللسان" كي يفرق بين اللغة واللسان، وذلك في عتبة العنوان فقط، على أننا نختار بدل علم اللغة العام "اللغويات العامة"، كي يكون

للت ترجمة دقة وضبط متوازنين، وبالتالي نحاول أن نوحّد عتبة العنوان بالشكل التالي: دروس في اللغويات العامة.

يحاول يوثيل يوسف عزيز من خلال ترجمته أن يقابل المصطلح المترجم بمصطلح إنجليزي حيث فضل -كما يقول- المصطلح الإنجليزي على الفرنسي الأصلي، محتجا بأن «هذا العلم قد تطور كثيرا في البلدان الناطقة بالإنكليزية وأصبحت مصطلحاته الإنكليزية هي الشائعة بين المثقفين-لا سيما في الوطن العربي» (فردينان دوسوسور، 1985: 04)، ولكن هل هذه فعلا حقيقة تجمع كل المثقفين في رداء واحد؟ والأصل هو الأخذ من اللغة الهدف تلك التي حملت حقول هذه النظرية كي نتحقق من دلالات المصطلحات في سياقها ونسقتها اللغوي الأصلي، أولا باعتبار خصوصية المنتج اللغوي الأصلي، وثانيا مراعاة لسياقات المصطلح ونسقه باعتباره بنية من البنيات التي يجب أن نهتم بها وأن نحاول تفكيكها وفهمها جيدا، وثالثا كي لا تتقل أخطاء الترجمة الأولى إلى الترجمة الثانية، وبتتبع المصطلحين ضمن ترجمة يوثيل يوسف عزيز يمكن أن نستخلص ما يلي:

الجدول 1: المصطلح ضمن ترجمة يوثيل يوسف عزيز.

المصطلح	الترجمة	سياق العبارة
linguistique	علم اللغة	Cours de linguistique général
Le langage	الكلّام	Toutes les manifestations du langage
Le langage	اللسان البشري	..elle ne se confond pas avec le langage

المصدر: (فردينان دي سوسور، 1985: 04)

الملاحظ كما هو مبين في الجدول أن المترجم لم يقف على تحديد واضح للمصطلح، فأحيانا يكون المصطلح هو (الكلام)، وأحيانا أخرى يكون هو (اللسان البشري)، لكنه يركز أكثر ويحدد مصطلح (اللسان البشري)، فهل قصد حقا دوسوسير هذا المعنى لهذا المصطلح (*le langage*)؟ أم أن هناك دلالة أخرى يبحث عنها ويهدف إليها هذا المصطلح؟

إذا رجعنا لدلالات الفضاء اللغوي ومنطقاته المعرفية، فلعل هذه الفصول الأولى التي بدأ بها دوسوسير بحوثه في اللغويات هي الفصول المرجعية لهذه المعرفة، وبالتالي تعتبر مصطلحاتها هي المفاتيح التي إما أن نصل من خلالها إلى الفهم الصحيح أو لا نصل، وهو ما نعمل عليه من خلال أدوات الهرميوطيقا، بحيث تكون هي منهجنا لبلوغ دقة المصطلح ومدلوله، وتظهر هذه المقاربة من خلال مبدأ "التماسك الانسجام" الذي نصل إليه من خلال تعدد الترجمات، هذا التعدد الذي يسمح لنا بالدخول شيئاً فشيئاً لفضاء النظرية عند دوسوسير، يقول دوسوسير « *Mais qu'est-ce que la langue ? Pour nous elle ne se confond pas avec le langage; elle n'en est qu'une partie déterminée, essentielle,* » (Ferdinand de Saussure, 2002: 17) « *il est vrai* يوسف عزيز على الشكل التالي: «ولكن ما اللغة *Langue*؟ ينبغي أن نميز بينها وبين اللسان البشري (*Langage*)، فاللغة جزء محدد من اللسان، مع أنه جزء جوهري -لاشك-» (فردينان دوسوسور، 1985: 27)، وهنا نجده كما أشرنا في الجدول أعلاه، قد ترجم (*langage*) باللسان البشري، لكننا لم نحدد بعد ترجمة هذا المصطلح (*langage*)، وبالتالي فاللغة هي جزء محدد منه وأساسي، وإذا كان اللسان جزء من الجهاز الصوتي فدوسوسير في موضع معين يجعل الجهاز الصوتي خارج

اللغة، يقول إن «الأعضاء الصوتية أيضا خارج اللغة مثل الأجهزة الكهربائية التي تساعد على كتابة أبجدية مورش فهي أجنبية على هذه الأبجدية» (Ferdinand de Saussure, 2002: 29)، ومن هنا يشير دوسوسير إلى أن اللغة (*la langue*) تختلف عن (*le langage*)، باعتباره متعدد الأشكال، وليس هو اللسان كعضو داخل الجهاز الصوتي.

3. ترجمة عبد القادر قنيني "محاضرات في علم اللسان العام" (1987):

لعلنا أدركنا بعد الترجمة السابقة ومقارنتها مع ما ورد في الدروس بلغتها الأصلية التي حاولت تقديم كتاب دوسوسير باللغة العربية أن ترجمة يوثيل يوسف عزيز لمصطلح (*le langage*) تخرجه عن مدلوله الأصلي، لكن ليس مكلفا أن نقف عند ترجمة أخرى مختلفة قدمها المترجم عبد القادر قنيني كي نتمكن من توضيح أفكارنا في هذه المساحات النقدية الرحبة، ومن عتبة الدخول إلى فضاءات الكتاب، فقد ترجم مصطلح (*Linguistique*) ب: علم اللسان، أما ما يتعلق بالمصطلحين محل الدراسة فقد ترجم (*La langue*) باللسان، و(*Le langage*) باللغة، خلافا لما ذهب إليه المترجم يوثيل يوسف عزيز، وهنا نحاول أن نعيد قراءة

الفقرة التي تحدد معاني هذين المصطلحين عند دوسوسير: «*Mais qu'est-ce que la langue ? Pour nous elle ne se confond pas avec le langage ; elle n'en est qu'une partie déterminée, essentielle, il est vrai. C'est à la fois un produit social de la faculté du* (Ferdinand «*langage et un ensemble de conventions nécessaires* (de Saussure, 2002:17) ويترجم هذه الفقرة عبد القادر قنيني ب: «فيما

يخصنا فإننا نفرق بين اللسان *La langue* وبين اللغة *Langage*، فليس اللسان إلا جزءا محددًا من اللغة، وهو جزء أساسي لا شك فيه. وبهذا الاعتبار يكون اللسان في ذات الوقت انتاجا مجتمعيًا حادثًا عن ملكة اللغة وعن أنواع التواطؤ والاتفاقات الضرورية» (فرديناند دي سوسير، 1987:

18)، ومنه فقد وضع المترجم اللسان جزءاً من اللغة، لكن -كما أسلفنا- أن الأعضاء الصوتية حسب دوسوسير خارج اللغة: «*Les organes*» (Ferdinand de Saussure, «*vocaux sont aussi extérieurs à la langue*» (2002:29)، وقدم مثالا بالأجهزة الكهربائية التي تساعد على كتابة أبجدية مورس، أي أن الأعضاء الصوتية بما فيها اللسان هي أجهزة خارج نظام اللغة، وهذا ما يدعوننا إلى إعادة صياغة مفهوم النظرية عند دوسوسير لأن مجالها التعريفي لم يكن في متناول الدقة والضبط الضروريين مما يسبب عقبة أمام الفهم لدى الباحث.

وبالتدقيق مرة أخرى في هذه العبارة «*Les organes vocaux sont aussi extérieurs à la langue*» (Ferdinand de Saussure, 2002: 29)، فإننا نؤكد على أن اللسان ضمن الأعضاء الصوتية، فكيف يكون في العبارة التي ترجمها عبد القادر قنيني خارجاً عن نفسه؟ وإذا كان مفهوم اللسان هنا هو مجموعة من القواعد والقوانين المتعارف عليها ضمن جماعة إنسانية محددة، فهو بالتالي ويقول واحد يتساوى مع اللغة؟ فإذا كان كذلك فإن مفهوم اللسان هنا هو نفسه مفهوم اللغة، فكيف نفرق بين اللسان وبين اللغة في هذه الحالة؟ وإذا كان دوسوسير قد فرق بين (*La langue, le langage*) فإنه يتعمد هذا التفريق ويقصده تماماً، ومن ثم علينا البحث جيداً عن دلالة هذا التفريق من خلال الفصول التي يقدم فيها مفاهيم كل منهما برؤية متماسكة ومنسجمة وبما يتكشف لنا من فهم.

إننا إذا رجعنا إلى نصوص دوسوسير المترجمة من قبل عبد القادر قنيني، هذه الترجمة التي تقوم على أن مصطلح (*La langue*) هو اللسان، ومصطلح (*Le langage*) هو اللغة، فإنه يتناقض مع نفسه حين يتحدث عن اللسان مبيناً في ترجمته أنه «عبارة عن كل قائم بذاته وهو مبدأ

للتصنيف، ومهما أعطينا للسان المكان الأول من بين ظواهر اللغة، فإننا نكون قد أدخلنا ترتيبا طبيعيا في مجموع يمنع كل تصنيف غيره» (فردينان دي سوسير، 1987: 18)، فهل اللسان كل قائم بذاته؟ وهل هو مبدأ للتصنيف؟ ألا يشير ذلك إلى اللغة (*La langue*)، أما (*Le langage*) فيشير إلى دلالة أخرى غير التي أورد ترجمتها هنا في هذه العبارة.

4. اللغة *La langue* والبنية اللغوية *Le langage*:

يجب، من البداية، التفريق بين (*La langue, le langage*)، رغم أن مصطلح (*le langage*) يتجسد في سياق المعنى اللغوي كدلالة مباشرة على "اللغة"، لكن التفريق في هذا المجال العلمي اللغوي عند دوسوسير وفي تلقينا له هو تفريق لمصطلح علمي، وهو تفريق مقصود، وهذا فعلا ما فهمه النقد الفرنسي فيجعلهما مصطلحين غير متطابقين (*La langue, le langage*) ولا يعبران عن كلمة واحدة هي "اللغة"، نتبع مثلا ما جاء في كتاب "اللغويات" لجان بيرو *Jean Perrot*، حين يقول «*le langage est très divers dans ses manifestation : il se réalise sous des formes extrêmement variées, dénommées en français, suivant les cas, langues, dialectes, patois, parlers, jargons, argots*» (*Jean Perrot, 1961: 09*)، فيظهر لنا أن جان بيرو يدرك جيدا مدى فاعلية التفريق بين (*La langue, le langage*)، بحيث يجد أن (*le langage*) متنوع في تمظهراته، من خلال أشكال متعددة للغاية: اللهجة العامية أو اللغة المحلية، واللهجة الإقليمية، والكلام، واللغة العامة أو الاصطلاحية، واللغة الخاصة التي تكون بين أصحاب مهنة أو جماعة معينة. لذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نطلق عليه مصطلح (اللسان) لوحده أو (اللغة) لوحدها كما جاء في عدد من الترجمات العربية التي قدمناها وفي عدد لا بأس به من الدراسات النقدية العربية،

بل من الخطأ أن نطلق عليه مصطلح (اللغة)، ولأننا من جهة أخرى سنعتمد في مفهومنا للغة على ما قدمه دوسوسير في كتابه "دروس في اللغويات العامة" فإننا قبل أن نتساءل عن المصطلح اللغوي عند دوسوسير، يجب علينا أن نترجم المصطلح الإشكال (*Le langage*)، ومنه فإن هذا المصطلح نقترح ترجمته ب: البنية اللغوية.

إن اختيارنا لهذا المصطلح لم يأت اعتباطاً، بل جاء من خلال بحث نوعي في دلالات هذه المصطلحات في لغات متعددة، فكما نعلم أن لفظ (اللسان-*La langue*) في اللغة الفرنسية هو نفسه (اللغة-*La langue*)، أما في اللغة العربية فهما كلمتان مختلفتان، نجد هذا الاختلاف أيضاً في اللغة الإسبانية مثلاً، فلفظ (اللسان-*La lengua*) يختلف عن (اللغة-*El idioma*) لكن مصطلح (اللغة-*La lengua*) يكثر استعماله كمعنى للغة كدلالة علمية تكون أقرب إلى المصطلح الأساسي وهو (*la langue*)، على أنه ليس هناك مشكل فيما يخص المصطلح الإشكال (*Le langage*) الذي ليس له مقابل في اللغة العربية، لكن في اللغة الإسبانية له مقابل: (*el lenguaje*). لذلك اشتغلت اللغة الإسبانية بشكل أكثر رحابة في نقل المصطلح والمفهوم، ولإيضاح ذلك نقل هنا ترجمة ل: أمادو ألونسو *Amado Alonso* تبين أنه لا إشكال في ترجمة هذين المصطلحين: «*Pero? qué es la lengua? Para nosotros, la lengua*» (Ferdinand de Saussure, 1945: 37) «*no se confunde con el lenguaje, aunque esencial*». فاللسان في لفظه يختلف عن اللغة (*The language*)، فكيف تصرف اللغة الإنجليزية في ترجمة (*La langue, le langage*)؟

إذا دققنا النظر في ترجمة وايد باسكن *Wade Baskin* (1924)-

(1974) ندرك أنه يوجد تمييز واضح بين المصطلحين، فقد وجد المترجم

مقابلا لمصطلح (*La langue*) وهو بطبيعة الحال (*The language*)، لكنه لم يجد مقابلا لمصطلح (*Le langage*)، في حين لم يغفل أن يضع المقابل الفرنسي لهذه الكلمة بين قوسين، أما مصطلح (*Le langage*) فقد وضعه كما هو في اللغة الفرنسية بين عارضتين، فكانت ترجمته كالتالي: «*But what is language [langue]? It is not to be*» (Ferdinand de Saussure, «*confused with human speech [langage]*» (1959: 09)، ونلاحظ أنه يقدم لفظ (*speech*)، (الكلام)، كترجمة لمصطلح (*Le langage*) أو (*human speech*) بمعنى اللسان البشري حسب ترجمة عدد من المترجمين أو النقاد العرب الذين اعتمدوا على الترجمة الإنجليزية لعمل دوسوسير وبالخصوص ترجمة "وايد باسكن"، مع أن المترجم "وايد باسكن" كان من الممكن أن يضيف لمعجمه المصطلحي العلمي دلالة أخرى لمصطلح (*Le langage*) وذلك انطلاقا من ترجمة المعنى في سياقه العلمي وليس اللفظ ضمن مرادفاته المتعددة، وذلك من خلال فهم الحقل الدلالي لهذا المصطلح، والمفاجأة الحقيقية التي صادفتني هي ترجمة روي هاريس Roy Harris، فلم أكن أتصور بعد استعمالي لمصطلح "البنية اللغوية" أن أجد من وظفه بالأبعاد نفسها، لكنه لم يضعه في مكانه المناسب، فروي هاريس ترجم مصطلح (*la langue*) بالبنية اللغوية، في حين نجد المصطلح الإشكال (*le langage*) عنده هو اللغة، «*What, then, is linguistic structure? It is not, in our opinion, simply the same thing as language. Linguistic structure is only one part of language, even though it is an essential part*» (Ferdinand de Saussure, 2013: 11)، ومن ثم فقد عكس المصطلحين في رأينا، وللتوضيح أكثر فأهم عبارة نركز عليها هي كالتالي: «*Linguistic structure is only one part of language, even though it is an essential part*» (Ferdinand de Saussure, «*even though it is an essential part*»

(2013:11)، أي "البنية اللغوية ليست سوى جزء واحد من اللغة، على الرغم من أنها جزء أساسي"، مع العلم أن ما نقصده هو العكس تماما، «لكن ما اللغة (*la langue*)؟ بالنسبة لنا لا يتم الخلط بينها وبين البنية اللغوية (*le langage*)، فهي ليست سوى جزء محدد وأساسي منها» (Ferdinand de Saussure, 2002:17)، وذلك اعتمادا على فهمنا للبنية اللغوية (*Le langage*)، لأن دراستها عند دوسوسير تأخذ جزأين: «الأول، مهم، ويتعلق بموضوع اللغة، وهي اجتماعية في جوهرها ومستقلة عن الفرد، هذه الدراسة تكون نفسية فقط، أما الجزء الثاني، الثانوي، ويتعلق بموضوع الجزء الفردي للبنية اللغوية (*Le langage*)، ويعني، الكلام بما في ذلك النطق: وهذه الدراسة تكون في اتجاه نفسي-فيزيائي» (Ferdinand de Saussure, 2002: 30)، أي بدلالة عناصر البنية اللغوية (*Le langage*)، وعليه فحتى ترجمة روي هاريس Roy Harris وإن اقتربت من فضائنا البحثي إلا أنها ابتعدت كثيرا حين اشتغلت على توظيف الترجمة المناسبة في غير محلها.

وإذا كان مصطلح (*Le langage*) هو الكلام، كان للعالم السويسري أن يبقى على لفظ (*la parole*)، أو (*discours*) أو غيرها من المصطلحات دون أن يقف على هذا التعدد في المصطلحات، لكنه فرّق بين جميع هذه المصطلحات، بين (*la langue, le langage, la parole*)، بل انتبه لهذه الفروقات في الترجمة عندما قال: «من الملاحظ أننا قمنا بتعريف الأشياء لا الكلمات؛ الفروقات القائمة إذن لا تجعلنا نخاف من بعض المصطلحات الغامضة التي ليس لها معنى واحد من لغة إلى أخرى، فكلية "Sprache" في اللغة الألمانية تعني (*langue, language*)؛ و"Rede" تدل بالتقريب على الكلام (*parole*)، لكنها تضيف معنى خاصا وهو

"الخطاب" (*discours*)، وفي اللاتينية كلمة "*sermo*" تعرّف على أنها (*langage*) و(*parole*)، في حين أن "*lingua*" تحدد ب: اللغة (*langue*)» (Ferdinand de Saussure, 2002: 23,24)، ومن ثم نلاحظ أنه قد نبّه المتعاملين مع اللغة الفرنسية إلى الحذر من تداول هذه المصطلحات بترجمات حرفية أو دلالية دون فهم حقلها المعرفي، فكما رأينا أنه في اللغة الألمانية مثلاً لا تتضمن المعنى الدقيق لمصطلح (*Le langage*)، وأنه في اللاتينية تتداخل اللغة مع الكلام، وهكذا قل في اللغة العربية أيضاً، لذلك يقول إنه «لا توجد كلمة تتطابق تماماً مع أحد المفاهيم المحددة أعلاه، هذا هو السبب في أن أي تعريف يتم تقديمه لكلمة ما هو غير مجد، إنها منهجية سيئة أن تتطلق من كلمة لتعريف الأشياء» (Ferdinand de Saussure, 2002: 24)، وهي دعوة صريحة لترجمة المفهوم في نسق وسياق اللغة المتلقية، وخلق فضاء (نسق) جديد لتلقي وترجمة المفاهيم الجديدة. ولعلنا نجد الكثير من المترجمين أو النقاد قد خلطوا بين اللغة واللسان في الدرس اللغوي العربي، وإذا دققت في معانيهما وشرحهما ووصفهما تجدهما وجهين لعملة واحدة عندهم دون شك، ولعل أكبر دليل على ذلك ما جعل عبد المالك مرتاض يترصد هذا المفهوم كأنه يقترب منه ثم يبتعد، حين جعل مصطلح (*la langue*) هو اللسان وقال «فكأن اللسان (*la langue*)، من هذه الوجهة، يتسم نظامه بالكمية. وقد يكون اللسان قابلاً للوقوع تحت تأثير، أو فعلي، الزمانية والآنية جميعاً، فاللسان يتطور في الزمانية المتعاقبة المتواصلة المترابطة، في سلسلة متواصلة الحلقات، لكن هذه السلسلة المترابطة الحلقات ليست إلا انعكاساً أميناً للتطورات الداخلية التي تعتور اللسان في زمان معين، وفي مكان معين... إن اللسان بقواعده وتراكيبه ونظامه الصوتي

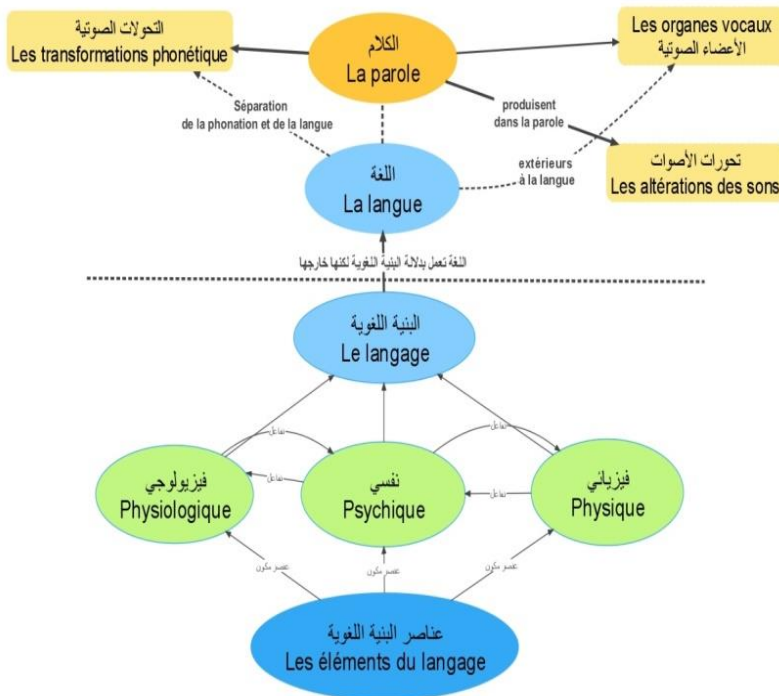
والدالالي ذو طبيعة جمعانية» (مرتاض عبد المالك، 2010: 171)، ومن جهة أخرى يجعل مصطلح (*le langage*) هو اللغة، ويضيف: «على حين أن اللغة "*le langage*" يتسم نظامها، على عكس اللسان، بالتنوع من وجهة، وبقصر الأزمنة التي تحكم نظامها الداخلي من وجهة أخرى» (مرتاض عبد المالك، 2010: 171)، في حين يقول دوسوسير: «اللغة (*la langue*) موجودة في الجماعة على شكل بصمة (ذخيرة) موضوعة داخل كل دماغ جديد، تشبه القاموس الذي يتم توزيع جميع نسخه المتطابقة بين الأفراد» (Ferdinand de Saussure, 2002:31)، فهل اللسان (*l-a-n-g-u-e*) هو الذي يشبه القاموس إذا كان مصطلح (*Le langage*) هو اللغة كما قدم ذلك عبد المالك مرتاض مثلاً؟ إنني لا أقف هنا على ما دلل عليه الناقد من مفاهيم، بل ما يهمني هو توظيفه لهذين المصطلحين، في حين نجد صلاح فضل يحوم في تلك الأجواء ويحاول أن يقف على أرضيتها حين يرى أن «تصور سوسير للغة قريب جداً من التصور الذي يمكن أن نطلق عليه "الأبنية اللغوية"» (صلاح فضل، 2002: 86)، لكنه من جهة أخرى يفضل ترجمة مصطلح (*le langage*) بـ "الكلام"، حين يقول «يطرح سوسير سؤاله: "ما هي اللغة؟" ثم يجيب عنه بأن اللغة بالنسبة له لا ينبغي أن تختلط بالكلام؛ فليست اللغة سوى جزء معين من الكلام» (صلاح فضل، 1998: 20)، وهذا ترجمة لمعاني الفقرة المفتاحية المهمة لدى دوسوسير: *Mais qu'est-ce que la langue ? Pour nous elle ne se confond pas avec le langage ; elle n'en est qu'une partie déterminée, essentielle, il est vrai* (Ferdinand de Saussure, 2002:17)، وهنا لم يتفق صلاح فضل مع عبد المالك مرتاض حتى في توحيد هذين المصطلحين، وهما شخصيتان نقديتان أكاديميتان لهما أثرهما الكبير في الدرس اللغوي العربي، فهل نقول إن أحدهما لم يقرأ للآخر؟ لأننا نجد أن

مصطلح (*le langage*) عند الأول هو اللغة، أما عند الثاني فهو الكلام، ليظل مصطلح (*Le langage*) لدى النقد العربي برمته هو المصطلح الإشكال، وإذا تلقى النقد كل هذه الاختلافات الأساسية فلا يتأسس بالتالي الفهم الصحيح والمنطقي لمجمل النظرية اللغوية عند دوسوسير، وتختلف وتختلط الدراسات التي تعمل في فضاء هذه النظرية.

إننا إذا سلمنا بمصطلح "البنية اللغوية" فإننا ندرك دون شك أن اللسان البشري جزء من البنية اللغوية التي تتكون من عناصر مختلفة، وأن دلالة اللسان كمعنى للغة هو خلط يواجه الباحث والدارس لهذه الفضاءات اللغوية. وأن البنية اللغوية (*Le langage*) ليست هي الكلام (*la parole*) لأن «اللغة، تتميز عن الكلام، في كونها موضوعا يمكن دراسته بشكل مستقل، فنحن لم نعد نتكلم اللغات الميتة، لكنه يمكننا بشكل جيد أن نستوعب أنظمتها اللغوية» (Ferdinand de Saussure, 2002: 24)، وأن البنية اللغوية (*Le langage*) ليست هي اللسان باعتبار أن (*Le langage*) عند دوسوسير غير متجانس بينما اللغة فهي متجانسة، لذلك يقول إنه «في حين أن البنية اللغوية (*Le langage*) غير متجانسة، فإن اللغة (*la langue*) متجانسة بطبيعتها، إنها نظام من العلامات حيث لا شيء أساسي سوى اتحاد المعاني والصورة الصوتية، وحيث يكون الجزآن من العلامة هما بالقدر ذاته نفسيان» (Ferdinand de Saussure, 2002: 24,25)، وإذا سلمنا بمصطلح "البنية اللغوية" (*Le langage*)، فإننا ندرك أن «اللغة أيضا محددة في مجموع ظواهر البنية اللغوية (*Le langage*)، ويمكن تصنيفها ضمن الظواهر الإنسانية، في حين أن البنية اللغوية (*Le langage*) ليست كذلك» (Ferdinand de Saussure, 2002: 26)، لذلك أراد دوسوسير أن يقدم هذه الفصول المهمة من

أجل الوصول إلى مفهوم مصطلح العلامات (*signes*)، ومنه مصطلح السيميولوجيا (*sémiologie*)، فتكون اللغويات (*linguistique*) لديه هي «ليست سوى جزء من هذا العلم العام، والقواعد التي ستكتشفها السيميولوجيا ستكون قابلة للتطبيق على اللغويات، وبالتالي سيتم ربطها بمجال محدد بشكل جيد داخل مجموع الظواهر الإنسانية» (Ferdinand de Saussure, 2002: 26)، ويمكن لنا أن نستخلص دلالة المصطلحات من خلال الشكل التالي:

الشكل 1: المخطط الدلالي لعناصر البنية اللغوية وكيفية تفاعلها في مقابل اللغة/الكلام.



المصدر: المؤلف.

ومن خلال هذا الشكل نقف على تحديد عناصر البنية اللغوية، فهي تتشكل من عنصر فيزيولوجي يتضمن وظائف عضوية للأجهزة الحيوية، وعنصر فيزيائي مادي يتضمن مجالات تختص بالسمعيات والبصريات والحركة والميكانيكا والديناميكا وغيرها من المجالات، وعنصر نفسي وهو الأهم، هذا العنصر يتضمن السلوك والشعور والغرائز والإحساسات والفهم والوعي والإدراك وغيرها من المكونات النفسية، هذه العناصر الثلاثة التي تشكل البنية اللغوية تشكل أيضا دعامة للغة والكلام، على أننا نركز على أن البنية اللغوية بجميع عناصرها خارج اللغة.

خاتمة:

ليس من أهدافنا في هذا المقام أن نريك عوالم البحث النقدي ومصطلحاته المتعارف عليها والمختلف عليها في آن واحد، ولكن من واجبنا أن ندلوأ بدلونا لعلنا نضيف شيئا ما ولو طفيفا داخل هذه الفضاءات النقدية الواسعة والمشبعة بالدراسات المتنوعة، وأن نقف عند مفاتيح مهمة في مجال اللغويات لعلنا نساهم بتوحيد بعض المصطلحات في الدراسات النقدية اللغوية العربية، لذلك فالبنية اللغوية *Le langage* في اعتقادنا أساس جوهري لفهم دلالات النظرية وإذا ما انحرف مفهومها إلى غير محله فإن جميع العناصر الأخرى يصعب تجميعها للاستدلال على طريق واضح لفهم ما عمل عليه العالم اللغوي السويسري دوسوسير، ونستخلص مما سبق أن البنية اللغوية (*Le langage*):

خارج اللغة من حيث أن اللغة نظام يشغل بدلالة البنية اللغوية (*Le langage*) التي تتضمن عناصرها الفاعلة في تجسيد ذلك النظام، هذه

العناصر التي تحتوي على جانب فيزيولوجي (الأعضاء الصوتية)، وجانب فيزيائي (الأسوات، الكلمات) وجانب نفسي (منطلق الوحدات).

يعد الجانب النفسي من أهم الجوانب التي تربط البنية اللغوية (*Le langage*) باللغة عند الجماعة، بحيث يمكن لنا دراسة البنية اللغوية انطلاقاً من هذا الجانب اجتماعياً، أي خارج الفرد وداخل الجماعة، فبنية الجماعة الداخلية هي المؤثرة في تحولات البنية وثبوتها، والفرد جزء منتمي ومكون لهذه الجماعة لا أثر له إلا في سياقها ونسقتها.

البنية اللغوية (*Le langage*) أساس ومركز اللغة، كي تكون مؤسسة اجتماعية من نوع خاص، تتأسس على استعمالات الكلام للتواصل الفكري، من خلال وظائف البنية اللغوية داخل مجموع النظام المكون من العلامات.

البنية اللغوية (*Le langage*) جانب فردي وجانب اجتماعي ولا يمكن أن نتخيل أحدهما دون الآخر.

البنية اللغوية (*Le langage*) بما فيها من عناصر مكونة (مادية، فيزيولوجية، نفسية) تقوم على بعدين متلازمين، الأول نظام مسقر والثاني متطور، فهي مؤسسة للحاضر ومنتج للماضي، وهذا ما جاء في دروس دوسويسير لتوضيح دلالة البنية اللغوية (*Le langage*)، فتبدو للوهلة الأولى أنه من السهل جدا التمييز بين هذا النظام (النسق) وتاريخه، بين ما هو عليه وبين ما كان عليه، وفي الحقيقة، العلاقة التي توحد هذين الأمرين وثيقة للغاية لدرجة يصعب معها الفصل بينهما.

إننا لا نبتعد عن مدلول (البنية اللغوية *Le langage*) إذا ما تخلصنا من معنى (اللسان أو اللغة)، إننا نضع المصطلح في نسقه الصحيح وفي بعده المنهجي، فهو يتضمن معنى (اللسان البشري) كعضو ضمن جهاز

النطق، كما أن النظام اللغوي خارج عنه ومستند عليه في الوقت نفسه، مما يعني أن تنفيذ الصور الذهنية كأصوات لا يؤثر على النظام نفسه، وهذا ما جعل دوسوسير يقارن اللغة بسيمفونية موسيقية، فهي في الواقع مستقلة عن الطريقة التي تنفذ بها، أي أن الأخطاء التي قد يقوم بها العازف أثناء أدائه الموسيقي لا تؤثر على أصل اللحن، أو على البنية الموسيقية له. فاللغة إذن هي في اعتباره أداء السيمفونية وتنفيذها على أرض الواقع، أما السيمفونية نفسها فهي النظام (النسق) أي البنية اللغوية بكل مكوناتها وهي خارج اللغة، وليست هي اللسان البشري أو الكلام أو أي شيء آخر، والأخطاء (التحويلات اللغوية) التي يرتكبها العازف في هذا المثال هي ضمن مدلول مصطلح التحورات *les altérations* التي تنتج داخل الكلام (*la parole*) حيث تترك أثرا على مستقبل اللغة نفسها.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم، زكريا، (1990)، م. شكلة البنية أو ضواء على البنيوية، (الطبعة الأولى)، القاهرة، مكتبة مصر.
- 2- جون، لي شته، (2008)، خمسون مفكراً سياسياً صراماً البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، (الطبعة الأولى)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.
- 3- الرويلي، ميجان، البازغي، سعد، (2002)، دليل الناقد الأدبي، (الطبعة الثالثة)، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- 4- صلاح، فضل، (1998)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، (الطبعة الأولى)، القاهرة، دار الشروق.
- 5- صلاح، فضل، (2002)، مناهج النقد المعاصر، (الطبعة الأولى)، القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات.
- 6- عبد الله، إبراهيم، الغانمي، سعيد، عواد، علي، (1996)، معرفة الآخر-مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة-، (الطبعة الثانية)، المغرب، المركز الثقافي العربي.

- 7- غرايبة، محمود عباس، (1987)، تاريخ العرب الحديث، بيروت: دار الأمل للنشر والتوزيع.
- 8- فرديناند، دي سو سير، (1987)، *محاضرات في علم الإنسان العام*، ترجمة عبد القادر قطيني، (بدون طبعة)، الدار البيضاء المغرب، افريقيا الشرق.
- 9- فردينان، دو سو سور، (1985)، *علم اللغة العام*، ترجمة يوثيل يو سف عزيز، (بدون طبعة)، بغداد، دار آفاق عربية.
- 10- القاسمي، علي، (2019)، *علم المصطلح أ س س النظرية وتطبيقاته العلمية*، (الطبعة الثانية)، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.
- 11- Ferdinand De Saussure. (2002), *cours de linguistique générale*. Alger. Edition Talantikit.
- 12- Ferdinand De Saussure. (1945). *curso de lingüística general. Traducción: Amado Alonso*. Buenos Aires. Vigésimacuarta Edición Editorial Losada.
- 13- Ferdinand De Saussure. (2013). *course in general linguistics*. Translated by Roy Harris. New York. London. Bloomsbury Academic.
- 14- Ferdinand De Saussure. (1959). *Course in general linguistics*, Translated by Wade Baskin. USA Philosophical library.
- 15- Jean Perrot. (1961). *La linguistique*. Paris. Presses universitaires de France.
- 16- Jean Piaget. (1972). *le structuralisme*. Presses universitaires de France. Paris.
- 17- Henri Frei et autres. (1964) Ferdinand De Saussure. « *Lettre de Ferdinand De Saussure à Antoine Meillet* ». dans « *Cahiers Ferdinand De Saussure, revue de linguistique général* ». Vol 21, librairie droz. Genève.

